الملتقى العلمي الرابع لطلبة الدراسات العليا
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
باحثون ٤

الجزء الاول

٣ – ٤ / ٨ / ١٤٤٣هـ
٦ – ٧ / ٣ / ٢٠٢٢م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبدالعزيز
http://spc.kau.edu.sa

الإشراف العام

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أ. د. محمد بن صالح الغامدي

* * *

اللجنة الإشر افية

أ. د. زيني بن طلال الحازمي

د. أنوربن سعد الجدعاني

د. هناء بنت علي الضحوي

د. فوزية بنت بداح العتيبي

د. رفعة بنت سعيد الغامدي

أ. عبدالله بن حسن الأسمري (أمين اللجنة)

نشأة الفكر التاريخي

الباحثة: عليا شداد السلمي
قسم: التاريخ والاثار

المستخلص:

تطرقنا في هذه الورقة العلمية الدوافع وراء ظهور الوعي التاريخي، الذي ساهم فيما بعد في نشأة مدارس الفكر التاريخي، وتنوع مناهج الكتابة التاريخية، ومعرفة أبرز المؤرخين الذين حملوا على عاتقهم مهمة التجديد في الكتابة التاريخية، وبناءً على ذلك فقد اعتمدت الباحثة التقسيم المكاني والزماني معاً؛ لكي يسهل على الباحثين والدارسين تتبع المراحل التي مر بها الفكر التاريخي على مدار العصور التاريخية في نطاق جغرافي معين، فلذلك تم تقسيم المحاور كالآتي:

أ- الفكر التاريخي في بلاد الشرق القديم وتشمل {مصر – شبه الجزيرة العربية بلاد ما بين النهرين – الصين}.

ب- الفكر التاريخي في بلاد اليونان والرومان قبل دخول المسيحية.

ج- الفكر التاريخي عند المسلمين.

د- الفكر التاريخي في العصر الحديث.

ولكننا قبل البدء في تتبع تطور مراحل الفكر التاريخي عبر العصور، لابد من توضيح ما الذي نقصده بـمصطلح «الفكر التاريخي؟»، هل هي تراكمات فكرية على مدار العصور التاريخية حتى تبلور لنا على ما هو عليه في وقتنا الحاضر؟ أما أنه مصطلح تم استحداثه في العصر الحديث؟

المقدمة:

يعرف الفكر التاريخي بأنه إعادة كتابة التاريخ بطرق مبنية على أسس معينة من أجل التحقق من صحة المادة التاريخية التي بين أيدينا-كالرواية الشفهية والمصنفات والآثار والنقوش- وتمحيصها ونقدها من المعلومات المغلوطة، وهنا يظهر لنا الموقف العقلي من آراء وأفكار للمؤرخ حول واقعة تاريخية معينة أو على مسار التاريخ ككل.

وبذلك انتقل علم التاريخ من مرحلة الإجابة على سؤال «ماذا حدث؟» إلى مرحلة الإجابة على «كيف حدث؟، لماذا حدث؟، ماذا ترتب على الحدث؟»، وهنا تظهر

نظرة المؤرخين للتاريخ وتبرز مذاهبهم الخاصة؛ ليسير المؤرخين فيما بعد على نهجهم أو أنهم يستحدثوا نهجاً مُغَايِراً.

أ- الفكر التاريخي في بلاد الشرق القديم وتشمل {مصر – شبه الجزيرة العربية – بلاد ما بين النهرين – الصين}:

يعد الشرق الأدنى مهد الحضارات القديمة، إذ أنها تركت لنا إرثاً ضخماً من العلوم والمعارف في ميادين مختلفة كالطب والفلك والأدب والرياضيات، ونظراً لهذا التطور المعرفي أدى بهم إلى تدوين وتوثيق ما يرونه مهم كتدوين ممتلكات المعبد وأسماء حكامهم ومنجزاتهم وحروبهم، ومن هنا بدأ الوعي التاريخي لدى تلك الحضارات لتدوين تاريخهم وحفظه، بالرغم من اختلاطه في البداية بالأساطير و الخرافات، ومن أولى محاولات الكتابة التاريخية التي تتصف بالفكر التاريخي هي ما قام به الكاهن المصري مانيثون(Manithon) في القرن الثالث ق.م عن تاريخملوك مصر حيث قسم الأسر الحاكمة إلى ٣١ أسرة متعمداً على المصادر المصرية القديمة – حجر بالرمو وبُردية تورين وقائمة سقارة – ومستخدماً لنظام الحوليات في ترتيب الوقائع والأحداث ولكن توجد محاولة سبقتها وهي بُردية الحكيم ايبور ور(Ipuwer er) أو ما يطلق عليها تحذيرات "ايبور ور"، والتي يلغب عليها الطابع الديني أكثر من التاريخي، إذ يصف فيها ايبور الأحداث العصيبة التي مرت بالدولة القديمة في عهد بيبي الثاني وتقديم التعليل المناسب لهذه الأحداث من وجهة نظره.

وبالنسبة لشبه الجزيرة العربية فقد حظي التاريخ قبل الإسلام باهتمام بالغ، إذ أنهم عملوا على حفظ موروثهم التاريخي عن طريق مداولته شفهيًا عبر الأجيال، ويرجع ذلك كونهم يعتمدون على مَلَكة الحفظ التي كانوا يتميزون بها، بالإضافة إلى عدة عوامل أخرى كانتشار الأمية بينهم، إذ لم يكن من قريش إلا قلة ممن يجيد القراءة والكتابة، وشح مواد و أدوات الكتابة في شبه الجزيرة العربية، كما امتازت الرواية التاريخية عند العرب قبل الإسلام بالطابع البطولي والأدبي، وهذا أمراً بديهي لأنهم أهل فصاحة وبلاغة، وتكثر لديهم استعمال المحسنات البديعية، ولهذا تستنتج

الباحثة بأن العرب قبل الإسلام كان يملكون وعي تاريخي يتناسب مع إمكانياتهم المحدودة، ولكنهم في المقابل افتقروا للمنهجية في سردهم للرواية التاريخية.

وفي حضارات بلاد ما بين النهرين التي دُون تاريخها منذ ثلاثة آلاف سنة على ألواح من الطين والتي مازالت آثارها محفوظة لوقتنا الحاضر، إذ وجد في معبد بمدينة نافارا السومرية آلاف الألواح التي تضمنت نصوصاً تاريخية وعلمية وأدبية ودينية، ومن أولى المحاولات لكتابة تاريخية ذات طابع فكر تاريخي في بلاد ما بين النهرين، هي ما قام به الكاهن بابلي يطلق عليه باللاتيني بيرسوس (Berossos)، والذي قدم مصنف عن تاريخ بابل منذ الخليقة حتى عهد الاسكندر المقدوني، وقسمه إلى قسمين قسم قبل الطوفان وقسم بعده، وقد احتوى هذا الكتاب على القليل من الأساطير والخرافات، ولكنه امتاز عن غيره بمنهجية منظمة في الكتابة تختلف عما كان متعارف عليه سابقًا.

وفي الصين شملت الكتابة التاريخية كافة جوانب الحياة، وكانت على النمط السردي كالحوليات والسير، وهذا نابع من اهتمام الصينيين بأخبار أسلافهم، لأن التاريخ يعد لديهم أحد العلوم الكلاسيكية الرئيسية الستة، والتي تتشكل منها ثقافة الشعب الصيني، وفي القرن الثالث ق.م صاغ تسو–ين (Tso Yen) نظرية للتاريخ حيث أنه شبه التاريخ بالدورات التي تحدث في العليمات الطبيعة، وهذا مشابه لنظرية الدولة عند ابن خلدون، و لكن يرجع الفضل الكبير لكونفوشيوس (Confucius)، وهو رائد الفكر التاريخي الصيني، إذ أنه أول من بدأ في تسجيل الحروب وأثرها على الدول وموضحًا أشكال الحكومات الفاسدة، وأنها هي من تخلق الفساد وليس الشعب، وأن من واجبات الحاكم الحكم بالعدل، ويجب عليه أن يكونالمثال الخُلقي لشعبه، كما أنه حذر من احتكار الحكام لثروات بلدانهم؛ لكيلا يتسبب في إثارة غضب الشعب، وأيضاً يرى بأن التاريخ ينشأ من مبدأ العدالة والمساواة، وهنا تظهر مَلَكة النقد لدى المؤرخ كونفوشيوس في نقده لسياسات الحكام ، إذ أنه كسر قيود الكتابة التاريخية التقليدية في الصين، والتي أسهبت في تمجيد ومدح الحكام.

ب- الفكر التاريخي في بلاد اليونان والرومان قبل دخول المسيحية:

تعتد الكتابة التاريخية في بلاد اليونان والرومان أكثر تطوراً من غيرها، ويرجع ذلك كما ترى الباحثة إلى تعمقهم في علم الفلسفة والمنطق، والذي أدى بهم لطرح التساؤلات والتي أفضت بدورها إلى الفكر التاريخي، ومن أولى الكتابات التاريخية ذات الشأن ملحمة الإلياذةوالأوديسة لهوميروس(Homeros)، وهي عبارة عن أشعار تتحدث عن المجتمع والثقافة اليونانية والحرب الطروادية من خلال الروايات الشفوية المتداولة، والتي أمدتنا بصورة واضحة عن حضارة عصره عن طريق الاطلاع على أشعاره، ورأى بعض المؤرخين أمثال توينبي (Toynbee)ومصطفى النشار أنه أول من بدأ الفكر التاريخي في اليونان، ولكن ترى الباحثة بأنه لا يمكننا عد الإلياذة والأوديسة منضمن الكتابات التاريخية؛ لأنها ذات طابع شعري وأدبي أكثر من كونها تاريخي.

ولكننا لا نستطيع الإنكار بأنها كانت الشرارة التي دفعت المؤرخين اليونانيين نحو الكتابات التاريخية التي تحتوي على الفكر التاريخي، وأولى هذه المحاولات كانت لهكتايوس الملطي (Hecataeus of Miletus) ، والذي أعتبره النقاد أنه ليس أول المؤرخين فحسب بل أول الجغرافيين أيضا، فهو أول من وضع الخرائط التي سار عليها هيرودوث فيما بعده، وتميزت كتاباته التاريخية بنبذ الروايات غير العقلانية واستبدالها بتفسيرات عقلانية. ويعد هيرودوث (Herodotus)، أول من حقق الشروط العلمية التي تعتمد عليها الكتابة التاريخية، ومن أهمها البحث والاستقصاء عن المعلومات، إذ أنه ذكر في مقدمة كتابه أنه يأمل أن يحقق من تأريخه أي كتابتها للتاريخ هدفين، الهدف الأول وهو حفظ ذاكرة الماضي بتسجيله إنجازات اليونانيون أو الأمم الأخرى، أما الهدف الثاني وهو رغبته في الوصول إلى الأسباب التي دفعت اليونانيين والأمم الآسيوية الشرقية للاصطدام، و كتب ايضاً عن الحروب اليونانية الفارسية ولكن ليس بالطريقة السردية المعتادة، بل استخدم الفكر التاريخي لمعرفة الأسباب وراء هذا الصراع، وعرف عنها سفره إلى مصر حيث وصف عاداتها و تقاليدها في كتاب، وامتاز هيرودوث بأنه يتحرى مدى صحة الحادثة التاريخية، وذلك

عن طريق البحث في المصادر والوثائق ذات الصلة، وعادة ما يرفق مع الحدث التاريخي بوصف جغرافي للأرض أو للبشر، وهنا ترى الباحثة أنه كتابته التاريخية امتازت بالمشاهدة وليس الرواية الشفهية الأمر الذي أكسبها مصداقية.

وأتى من بعده ثيوكيديدس (Thucydides)، والذي تفوق عليه في أنه حدد الأسباب التي دعته إلى تسجيل الواقعة، كما خلت كتاباته من أي أساطير أو تمجيد للآلهة، وأعتنى بشدة في تحقيق الأحداث وما يروى من روايات تحقيقاً مبني على أسس علمية، كما اتصفت كتاباته بالحياد، خاصة عندما أرخ للحروب بين أثينا وأسبرطة، وهذا دلالة على مدى درجة الموضوعية والتجرد والتي لا يكاد يبلغها إلا صفوة من المؤرخين. أما بالنسبة الروماني يعد بوليبيوس (Polibius) رائد الفكر التاريخي، إذ كتب عن تاريخ الإمبراطورية الرومانية وحرص على أن تكون مصدر معلومات من وثائق أصلية وسجلات رسمية ومذكرات الأشخاص، ورأى أنه لابد على المؤرخ الاتصاف بصفات علمية، تساعده في أثناء كتابته التاريخية، كإلمامه بعلم الوثائق وعلم الجغرافيا والعلوم السياسة والآثار. كما يوجد العديد من المؤرخين المميزين في التاريخ الروماني، والذين أسسوا مناهج في الكتابة التاريخية أمثال بيكتور (Pictor) وكات(Cato) .

ج- الفكر التاريخي عند المسلمين:

ولما سطع نور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، بدأ الاهتمام بعلم التاريخ، إذ أصبحت هناك حاجة ماسة لتدوين حياة الرسول وهجرته وغزواته؛ ويرجع ذلك لشدة تعلق الصحابة راضون الله عليه بالرسول صلى الله عليه وسلم ورغبتهم بمعرفة تفاصيل حياته، ومن هنا بدأ الوعي التاريخ في الظهور لدى المؤرخين المسلمين، وفيما بعد اتسع هذا العلم وتطور وأنتج لنا كم هائل من المصنفات ذات الموضوعات المختلفة والمناهج المتعددة، وتكونت على أساسها المدرسة التاريخية الإسلامية في المدينة والعراق والشام ومصر والأندلس.

وسنتعرف الأن على أبرز المؤرخين في التاريخ الإسلامي ومنهجهم في الكتابة التاريخية:

١- **وَهْب بن مُنَبه:** لم يعتمد في كتاباته التاريخية على الإسناد المستخدم في مدرسة المدينة، إذ أنه يروي الروايات المختلفة من مصادر متعددة دون التأكد من صحتها، ويترك للقارئ الحرية في ترجيح ما يراه مناسباً، كما اتسمت كتاباته ورواياته التاريخية بأسلوب "القصص والأخبار" والأساطير وبعض من الاسرائيليات.

٢- **ابن شهاب الزهري:** هو مؤلف كتب السير والمغازي، ويعد أول من قارن بين الأحاديث مختلفة المصادر ذات الموضوع الواحد لغرض دمجها في حديث واحد، ويصدره بأسماء الرواة مجتمعين، وهو أول من عنّي بتدوين الأنساب، وامتاز الزهري بذكره الإسناد تارة وحذفه تارة أخرى.

٣- **ابن إسحاق:** وهو مؤلف "كتاب المغازي"، الذي امتاز عن غيره بإضافة تعليقاته على بعض الحوادث، ويصور الشخصيات التي في كتابه وكأننا نراها رأي العين، ويعد أول من حاول كسر قيود الكتابة التقليدية والتي تتصف بالسردية وتخلو من أفكار وآراء المؤرخ، ومن أشهر الذين اتبعوا منهجه ابن هشام.

٤- **الواقدي:** لديه عدة مؤلفات في المغازي والفتوح، وامتاز بأنه يأتي بأكثر من رواية، ويقوم بترجيح واحدة منها بناءً على ما يتوفر له من معلومات ومصادر، بالإضافة إلى أنه استعان بعلم الجغرافيا لتحديد ووصف مواقع الغزوات، إلا أنه ايضًا لم يهمل الجانب الحضاري فقد كتب عن المظاهر الاجتماعية في الفترة ما بين الهجرة إلى وفاة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أمرًا يحسب له.

٥- **الطبري:**أما الطبري فاتبع في كتابته عن عصور ما قبل الإسلام على المنهج الموضوعي أي أنه كان يبحث في تاريخ الفرس مثلاً من بدايته الى نهايته، ومن ثم اذا وصل الى التاريخ الإسلامي اعتمد على المنهج الحولي، وهو ذكر جميع الاحداث التي وقعت في العام، وبعد ان تنتهي الأحداث يبدأ في العام التالي، واتسم منهج الطبري في كتابته على سند الرواية وإرجاعها إلى مصدرها الأساسي، ويذكر جميع الروايات التي تطرقت للحادثة، وذلك بعد التأكد من صحتها وصدق الراوي، وهذا ما

اتضح جلياً في كتابه "تاريخ الرسل والملوك"، اعتمد على المنهج العلمي والاستقرائي، وكان للرحلات والأسفار التي قام بها دوراً بارزاً في تمكنه من جمع المعلومات التاريخية من مصدرها الأصلي.

٦- **المسعودي:** كان للمسعودي طريقة مميزة في الكتابة التاريخية، إذ أنه ألغى طريقة الأسناد واستبداله بتدوين مصادره التي استقى منها في مقدمة كتابه أو في ثناياه – وهو ما يشبه الهوامش أو الحواشي– وهو يشبه قائمة المصادر في وقتنا الحاضر، وهذا من أجل تزويد القرَّاء بالمصادر، ما أكسبنا ثورة علمية هائلة، ولم يتوقف عند هذا الحد بل قام بدراسة تحليلية و نقدية لمعظم مصادره، ومن أهم ضوابط قياس صحة الأخبار لدى المسعودي، الضابط الأول مبدأ التجربة و الملاحظة الناتج عن المعاينة المباشرة للأشياء، إذ أصبح له السبق في إثبات أهمية التجربة و الفحص في العمل التاريخي، أما الضابط الثاني وهو عرض المعلومات التي لا يترتب عليها شيء من أمور الدين على العقل لمعرفة مدى قربها من الواقع واحتمال صدقها من كذبها، وأحيانا يتم إصدار أحكام على الحوادث تكون مبنية على القياس والاستنتاج العقلي، أي أن منهج المسعودي كان اللبنة الأولى للفكر التاريخي لدى المسلمين.

٧- **ابن خلدون:** أدت الأحداث التي مر بها العالم الإسلامي من الحروب الصليبية والغزو المغولي، وما ترتب عليها من سقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ|١٢٥٨م وتفكك البلاد الإسلامية، إلى إثارة تساؤلات لدى المؤرخين حول الأسباب أو العوامل وراء قيام وسقوط الدول، ورائد الفكر التاريخي في هذا المجال هو العالم و المؤرخ ابن خلدون صاحب منهج النظرة الكلية للتاريخ، إذ رأى أن الكتابة بالطريقة الحوليات تفقد القارئ القدرة على الربط بين الوقائع التاريخية، كما أنه جعل الاسناد منهجاً ثانوياً عند تمحيصه للأخبار التاريخية وقدم عليه التمحيص بمعرفة أصول السياسة و قواعد الاجتماع البشري، وينظر ابن خلدون للوقائع التاريخية بنظرة تحمل فكر تاريخي، إذ أنه يحاول معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية، واعتبر أن التاريخ فن من الفنون التي تتداوله الأمم و الأجيال ووسيلة أساسية للإجابة على ما جرى وسيجري من أحداث وتطورات في العالم،

بالإضافة إلى انتقده لبعض المؤرخين، بسبب كتاباتهم غير المحققة ووصفوهم بـ «المتطفلين على التاريخ»، وأرسى ابن خلدون القواعد الأساسية لقوانين الحتمة التاريخية «العلية، التباين، التشابه» وهي التي يسير بمقتضاه التاريخ.

وغيرهم العديد من المؤرخين مما لا يسع المجال لذكرهم جميعًا، وبذلك يعود الفضل بعد الله عز وجل إلى المسلمين في إرساء قواعد وأسس الكتابة التاريخية ذات المنهجية العلمية؛ ما ساهم في الارتقاء الكبير بعلم التاريخ نحو مصاف العلوم، ولكن مع الآسف هذا الأمر لم يدم طويلاً بسبب حالة الجمود والركود التي أصابت العالم الإسلامي لفترة من الزمن، فيما انطلقت في المقابل حركة من النشاط والازدهار العلمي في أوروبا بعد عصور من الظلام والجهل وقيود فرضتها الكنيسة.

د- الفكر التاريخي في العصر الحديث:

- **الفكر التاريخي لدى الغرب:**

أصبحت المسيحية دين معترف به في عهد الامبراطور الروماني قسطنطين (Constantine)، فتأثرت الكتابة التاريخية بهذا الحدث، وتحولت بيد القساوسة والرهبان، والتي تركزت في الحوليات وتقييد الأحداث التاريخية بالنطاق الدين المسيحي، وحينما ضعفت الإمبراطورية الرومانية وتفككت بفعل الغزو الجرماني، قام رجال الدين بحفظ ما تبقى من التاريخ المدون في الأديرة والكنائس، والتي منه انطلقت حقبة جديدة تهتم الكتابة التاريخية المتعلقة بأحداث وشؤون الكنيسة، وأما في القرن الرابع عشر ظهرت بعض الكتابات التاريخية التي تميزت بتحكيم العقل أثناء سرد الروايات التاريخية والابتعاد عن الأساطير والخرافات التي تتنافى مع المنطق، كالذي تم ذكره في كتاب الإيطالي فلافيوس بلوندوس (Flavius Blondus) وهو من المعاصرين لابن خلدون. وعندما بدأت بوارد عصر النهضة الأوروبية بالظهور في إيطاليا، والتي حظي فيها علم التاريخ باهتمام كبير، مما ترتب عليه نتائج عدة، منها صبغ التاريخ بالصبغة الزمنية، وانتقال إدارة شؤون الدولة من رجال الدين إلى المفكرين والمؤرخين، وهي نتيجة طبيعية بسبب إحياء الإيطاليين للدراسات الإغريقية القديمة، والتي أكسبتهم روح النقد والتمحيص والتحليل والبحث عن المعلومات

الأصلية المبنية على أسباب علمية ومنطقية، واستبعاد كل ما لا يثبت صحته، وبذلكحُطمت قيود الكنيسة التي فرضتها لفترة طويلة من الزمن، ما نتج عنه تأسيس مدرسة مهتمة بالتاريخ في إيطاليا، تحمل الطابع السياسي والقومي، وترأسها نيقولا مكيافيللي (Nicolas Machiavelli)، وتلتها فيما بعد حركة الإصلاح الديني في ألمانيا، والتي تزعمها مارتن لوثر (Martin Luther)، في القرن ١٥و١٦م، والتي أحدثت تأثيراً عميقاً على الكتابة التاريخية، إذ امتازت بالنقد والتحليل، حيث دعا عامة الشعب لدراسة الكتاب المقدس بأنفسهم دون الاعتماد على تفسير رجال الدين، ما أعطى للتاريخ قيمة، ودفع الأفراد للبحث التاريخي بهدف الوصول للحقيقة، فازدادت حدة المناقشة بين المتمسكين بالكاثوليكية والداعين للاستخدام النقد والتحليل. وعندما تكونت فكرة القومية بعد قيام الممالك الأوروبية، نشأ شعور قومي لدى تلك الشعوب، إذ تولى العلماء والمؤرخين في هذه الدول جمع المصادر والوثائق عن تاريخ بلدانهم بدافع الاعتزاز بالماضي والاحتفاء بإنجازات أبطالهم، وقد ترتب على فكرة ظهور القومية الأوروبية نشاط حركة الكشوف الجغرافية. وفي القرن الثامن عشر ظهرت حركة علمية وفلسفية ذات طابع ثوري أُطلق عليها "عصر التنوير"، ومن مبادئها تمجيد قوة العقل والمنطق، والتي تمنح حسب ما يعتقدون الانسان القدرة على استيعاب الأمور من حوله، ما نتج عنها حدوث الثورتين الفرنسية والأمريكية، ومن روادها في مجال الكتابة التاريخية، المؤرخ الإيطالي جيوفانى باتستافيكو (Giovanni Batstavico) صاحب كتاب "أصول علم جديد"، إذ أكد فيه بأن التاريخ فرع من فروع العلوم الإنسانية، وأن منهج البحث التاريخي يقوم على أسس منطقية علمية. بالإضافة إلى المؤرخ الفرنسي منتسكيو (Mentskyu)، والذي أطلق عليه البعض لقب مؤسس فلسفة التاريخ، إذ تناول في كتابه "روح القوانين" نظام الحكم في بريطانيا وفرنسا ومراحل تطورهما، كما أشار إلى تطور نظام الحكم لدى الرومان، وتوصل أثناء بحثه إلى ملحوظة مهمة، وهي أن الأنظمة السياسية لكي تكون ناجحة ومقبولة لدى الشعب، لابد عليها من ملائمة الحياة الطبيعية والخصائص العقلية للشعب. وأما فولتير (Voltaire) مؤسس المدرسة العقلانية في

علم التاريخ، فتطرق في كتابـــه "عصر لويس الرابع عشر" أسباب القوة والضعف في عهد الملك لويس، كما أعجب بالقانون البريطاني والذي يكفل حقوق وواجبات أفراد الشعب بدون استثناء، كما أبدى فولتير اهتمام كبير بتاريخ الشعوب بدلاً من الملوك والقادة، لأن يرى بأن أخبار السياسة والحروب لا يتم الاستفادة منها، ولا تكشف عن تطور مراحل العقل الإنساني عبر العصور. ومن أهم المؤرخين المرتبط اسمهم بفلسفة التاريخ هيجل (Hegel)، والذي كشف لنا عن جوهر جديد لعلم التاريخ، إذ رأى بأن الفكر هو أساس التاريخ، وأما في إنجلترا، فقد ظهر المؤرخ الألماني ادوارد جيبون (Edward Gibbon)؛ والذي يعد أول من كتب عن أسباب قوة واضمحلال الإمبراطورية الرومانية في كتابه " تاريخ اضمحلال وسقوط الدولة الرومانية"، واتسم عصر التنوير بظهور النقد والتمحيص والتحليل في الكتابات التاريخية. وفي القرن التاسع عشر، رغم ما تم تحقيقه من تقدم في علم التاريخ من الابتعاد عن السرد واستبداله بالنقد والتحليل والتمحيص، كانت لا تزال الكتابة التاريخية تفتقر لوجود الأساس التي تركز عليه وهو المنهج، وتميز هذا القرن بنشر الوثائق والمخطوطات، مثل ما قامت به جمعية دراسة التاريخ الألماني بنشر سلسلة من الوثائق التي تخص ألمانيا، وفي فرنسا عندما نشرت جمعية تاريخ فرنسا وثائق من التاريخ الفرنسي، وبريطانيا عندما قامت بنشر سلسلة من الوثائق تحت مسمى "تواريخ ومذكرات بريطانيا العظمى وايرلندا في العصور الوسطى"، وفي هذا السياق تشكلت في بريطانيا لجنة المخطوطات التاريخية من أجل فحص وفهرسة ونشر الوثائق الهامة التي توجد في حيازة الهيئات البلدية، ونتيجة لذلك أصبح المؤرخون غير قادرين على والاستفادة من تلك الوثائق، ما أدى بهم إلى تفريع التاريخ إلى مسارات دقيقة؛ لكي يسهل عليهم التعامل مع هذه الوثائق، فنشأ التاريخ الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والحضاري. وفي القرن العشرين الميلادي، وبعدما انتهاء العالم من الحربين العالميتين الأولى والثانية، وما ترتب عليها من حدوث أزمة مالية "وول ستريت"، دفعت المؤرخين إلى الاتجاه لدراسة التاريخ الاقتصادي، والذي لم يسبق الاهتمام به كالتاريخ السياسي، ما نتج عنه تأسيس "مجلة الحــوليــات"، والتي

تختص بالبحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، فتميزت الكتابة التاريخية في هذا القرن؛ بأنها لا تهتم بالوثيقة التاريخية، بقدر ما تهتم بالحدث التاريخي لأنه هو من يحدد أهمية الوثيقة، ومن أبرز مؤرخي هذا القرن ماركس وانجلز (Marx and Engels)، اشنجلر (Schengle)، وارنولد توينبي (Arnold Toynbee).

- **الفكر التاريخي في العصر الحديث لدى العرب:**

وبالنظر لتطور الفكر التاريخي لدى العرب، فلقد تأثر بالتحولات السياسية التي مرت بها المنطقة العربية، منذ دخولها تحت الحكم العثماني بداية القرن ١٦م قرون، ومن ثم سقوطها وتقسيم ممتلكاتها بين الدول الأجنبية والتي بدورها احتلت أغلب المناطق العربية، واندلاع الحرب العالمية الأولى والثانية، وأخيراً قيام دولة إسرائيل المحتلة في الأراضي الفلسطينية، حينها أفل نجم علم التاريخ عند العرب بعد عقود من الازدهار والإنتاج الفكري الثري، وفي القرن العشرين الميلادي وبعد استقرار الوضع السياسي نسبياً في المنطقة، عاد نشاط الفكر التاريخي العربي مجددًا، الذي تأثر بموجة التيارات الفكرية المنتشرة آنذاك في أنحاء العالم، كالتيار الشيوعي والذي من مؤسسيه كارل ماركس والمعروف بتفسيره المادي للأحداث التاريخية، حيث اقتدى به بعض المؤرخين العرب في تفسيرهم لأحداث التاريخ الإسلامي على أنها عبارة عن صراع مادي طبقي كالمؤرخ فيصل السامر في كتـابـه" ثورة الزنج"، فيما تأثر البعض الأخير بتيار القومية العربية أمثال المؤرخ والمفكر قسطنطين زريق ومن مؤلفاته "نحن والتاريخ" و "الوعي القومي"، وايضًا المؤرخ العراقي عبد العزيز الدوري والمقلب بشيخ المؤرخين العرب، والذي نجح في تقديم صورة جديدة للتاريخ العربي الإسلامي في كتابه "مقدمة في تاريخ صدر الإسلام بدمجه لأصالة البحث التاريخي الموجودة في مؤلفات المؤرخين المسلمين قديماً مع أدوات التحليل والبحث الحديثة المستقاة من الغرب، بالإضافة إلى ظهور تيارين هما، التيار الأصولي التقليدي الذي ركز في كتاباته على الجوانب الإيجابية من تاريخ الأمة الإسلامية، والتيار الوطني القومي المهتم بحقبة التاريخ القديم "ما قبل الإسلام" كتاريخ الفراعنة والسريانيين بمصر وبابل وأشور العراق ، وسبأ ومعين وحضرموت في اليمن.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين وبعد...

فإنه تم بحمد الله انجاز هذه الورقة العلمية، والتي تعرفنا من خلالها على تطور الفكر التاريخي عبر العصور، ومدى أهمية علم التاريخ كونه العنصر الرئيسي في بناء الحضارات وازدهارها، والذي لا يكتمل دون الإدراك التام لدور الأساسي التي تقوم به المعرفة التاريخية للتقدم الحضاري المنشود، وهو ما يحتاجه عالمنا الإسلامي في هذه الفترة الحرجة، إذ لابد علينا كمؤرخين أن نكثف من جهودنا لزيادة الوعي التاريخي بين أفراد المجتمع، كونه الدرع الحصين أمام من يطعن ويشكك في تاريخنا وحضاراتنا.